



الأسئلة والأجوبة



الموضوع:

الأحكام؛ اللباس والزينة

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال

الكاتب: رضا راضي

التاريخ: ١٤٣٧/٤/٢٠

منذ متى شاع لباس رجال الدين؟ هل له أصل في الإسلام؟

الجواب

التاريخ: ١٤٣٧/٤/٢٤

لم يتحدّد في الإسلام لباس خاص لأهل العلم، بل ورد فيه النهي عن ارتداء لباس الشهرة، وهو لباس يميّز الإنسان عن سائر الناس بغير ضرورة أو مصلحة مهمّة؛ كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «مَنْ لَيْسَ ثَوْبُ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وعن أهل البيت عليهم السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبْغِضُ شُهْرَةَ اللَّبَاسِ»، ولا شك أنّ ما شاع بين أهل العلم هو من لباس الشهرة؛ كما أخبرنا بعض أصحابنا، قال:

«كُنَّا مَعَ الْمَنْصُورِ فِي مَسْجِدٍ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا وَقَالَ: لَا تَلْبَسُوا لِبَاسَ الشُّهْرَةِ فَيَأْخُذْكُمْ الْخِيَلَاءُ فَيُحِيطُ أَعْمَالَكُمْ، فَمَا لَيْتَ أَنْ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ لِبَاسُ رِجَالِ الدِّينِ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ: هَذَا مِنْ لِبَاسِ الشُّهْرَةِ».

وذلك لأنّه يميّز أهل العلم عن سائر الناس بغير ضرورة ولا مصلحة مهمّة، والدليل على عدم وجود ضرورة أو مصلحة مهمّة فيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته لم يلبسوه، مع أنّهم كانوا خير العلماء وكان بإمكانهم أن يلبسوا ما يميّزهم عن سائر الناس وكانوا لا يتركون

١ . مسند ابن الجعد، ص ٣١٥؛ مسند أحمد، ج ٩، ص ٤٧٦؛ سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١١٩٢؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ٤٣؛ السنن الكبرى للنسائي، ج ٨، ص ٣٨٩؛ مسند أبي يعلى، ج ١٠، ص ٦٢؛ رجال الكشي، ج ٢، ص ٦٩٠؛ الآداب للبيهقي، ص ١٩٨؛ الكافي للكليني، ج ٦، ص ٤٤٥.

عملاً فيه ضرورة أو مصلحة مهمّة، وكان من شدّة التشابه بينهم وبين سائر الناس في المظهر أنّ الرجل الغريب يدخل على جماعة فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يميزه حتّى يقول: «أَيُّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ؟» فيشيروا إليه، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يدخل السّوق والمسجد فلا يُعرف حتّى يسيء إليه الجاهل، وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرّة مع قوم فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟! قالوا: لا، قال: هذا عليّ بن الحسين عليهما السلام! فوثبوا فقبلوا يده ورجله وقالوا: «يا ابنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَرَدْتَ أَنْ تُصَلِّيَنَا نَارَ جَهَنَّمَ؟! لَوْ بَدَرْتَ مِنَّا إِلَيْكَ يَدٌ أَوْ لِسَانٌ أَمَا كُنَّا قَدْ هَلَكْنَا آخِرَ الدَّهْرِ؟! فَمَا الَّذِي يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟» فقال: «إِنِّي كُنْتُ قَدْ سَافَرْتُ مَرَّةً مَعَ قَوْمٍ يَعْرِفُونَنِي، فَأَعْطُونِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا لَا أَسْتَحِقُّ بِهِ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُعْطُونِي مِثْلَ ذَلِكَ، فَصَارَ كَيْثَمَانُ أَمْرِي أَحَبَّ إِلَيَّ»^٣.

بهذا يتبيّن أنّ اتّخاذ العلماء زياً خاصّاً بهم هو ترك السّنة، وإن شئت قلت أنّه بدعة بالإضافة إلا أنّه شهرة منعيّ عنها في الدّين، ويقال أنّ أبا يوسف القاضي (ت ١٨٢هـ) هو أوّل من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان، وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً، لا يتميّز أحد عن أحد بلباسه، ذكر ذلك ابن خلكان في «وفيات الأعيان»، ولذلك لا ينبغي لمن يهّمه ترك البدعة والإستئنان بالسّنة من أهل العلم أن يتلبّس بهذا اللباس، لا سيّما في البلاد التي يحكمها المتلبّسون به من أهل الضلال؛ لأنّه فيها لباس الظالمين، ولا يجوز التشبّه بهم في زيّهم، ويرى المنصور حفظه الله تعالى أنّ هذا اللباس فتنة للناس بالإضافة إلى ما مضى؛ كما أخبرنا بعض أصحابنا، قال:

«كَانَ الْمَنْصُورُ يَلْبَسُ أَكْثَرَ مَا يَلْبَسُ قَبِيصًا أَيْبَصَ وَقَلَنْسُوءَ سَوْدَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ، وَلَا

١ . انظر: فتوح الشام للواقدي، ج ١، ص ٢٨١؛ الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٧، ص ٤٤؛ مسند أحمد، ج ٢٠، ص ١٣٨، ج ٣٤، ص ٢٣٧؛ الأموال لابن زنجويه، ج ١، ص ١٢٣؛ صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٣؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٤٩؛ سنن أبي داود، ج ١، ص ١٣١؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ١٢٢؛ صحيح ابن خزيمة، ج ٤، ص ٦٣؛ أحكام القرآن للطحاوي، ج ١، ص ٣٦٠؛ مكارم الأخلاق للخرائطي، ص ٦١؛ أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني، ج ٤، ص ٤٥؛ معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، ج ٢، ص ٨٨١.

٢ . انظر: الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي، ج ١، ص ١٠٥؛ مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي، ج ٢، ص ٦١؛ الكافي للكليني، ج ١، ص ٥٢٩؛ كمال الدين وتمام النعمة لابن بابويه، ج ٢٩٩؛ أمالي الطوسي، ص ٢٣٨، ٣٨٧ و ٥٧٥؛ مناقب علي لابن المغازلي، ص ٢٣٠؛ مكارم الأخلاق للطبرسي، ص ١٠٠.

٣ . عيون أخبار الرضا لابن بابويه، ج ٢، ص ١٥٦.

٤ . وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٦، ص ٣٧٩.

يَلْبَسُ لِبَاسَ رَجَالِ الدِّينِ، فَخَرَجْتُ يَوْمًا مِنْ عِنْدِهِ وَمَعِيَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، فَوَجَدْتُهُ سَاطِطًا، فَقُلْتُ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ وَرَأْسُ الْمُجْتَهِدِينَ، وَلَا يَلْبَسُ لِبَاسَهُمْ! قُلْتُ: وَيَحَاكَ، إِنَّهُ لَا يُقَلِّدُهُمْ، وَمِنْ خُشُوعِهِ لَا يَلْبَسُهُ وَتَوَاضُّعِهِ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا يُحْسِنُ وَلَا يُجْمِلُ! قُلْتُ: وَجَّهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ حَتَّى أَخْبِرَهُ بِمَا قُلْتُ! فَرَجَعْتُ إِلَى الْمَنْصُورِ فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِهِ، فَقَالَ: أَخْبِرْهُ بِأَنَّهُ فِتْنَةٌ لِلنَّاسِ، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾^(١).

والظاهر أنه حفظه الله تعالى أراد بالفتنة للناس اغترارهم بهذا اللباس بغير تبين، وقد يلبسه المنافقون والضاؤون والجاهلون من المنسوبين إلى العلم، وفي ذلك مفسد عظمى، والحقيقة أن غلبة هذا اللباس على علماء المسلمين هي أماره من أمارات غلبة البدعة والتصنع عليهم، وتلك المصيبة العظمى!



الموقع الإلكتروني لمكتب المصطفى الحاشمي الخراساني
فيما يلي الخبر على الإنترنت